الخاتمة

بعد الدراسة التي أمضيتها مع الرازي النحوي من خلال تفسيره، ووقفت فيها على ما تضمنه هذا التفسير من مباحث وأصول واجتهادات في النحو، أودُّ تلخيص الجهد الذي تمخض عن هذا البحث، وبيان النتائج التي انتهى إليها، وهي:

1- دلّني البحث إلى أنّ محمداً بن عمر الرازي ولد عام 544 هـ في مدينة الرّي وأنه تلمذ لوالده فأخذ عنه الأصول وفقه عليه المذهب الشافعي، ثم أخذ بعد ذلك عن غير واحد من العلماء. فلما استوى علمه تنقل في بلاد ما وراء النهر ودخل الهند. وكانت له خلال رحلته مناظرات مع المعتزلة والكرامية ثم ألقى عصا الترحال في هراة حيث وافته المنية هناك عام 606 هـ.

2- ودلّني البحث إلى أن للرازي مصنفات كثيرة في علوم مختلفة، وهي على أقسام منها المطبوع والمخطوط والمفقود. وقد صحّحت نسبة كتاب (عجائب القرآن) إليه، وهو كتاب مطبوع، كما نفيت نسبة كتاب إليه، وهو: (عرائس المحصّل من نفائس المفصل)، بأدلة من داخل المخطوط لا تقبل الرد.

3- ودلّني البحث إلى أَنّ تفسير الرازي كان مفاجأة لأهل عصره، لأنه ضمَّ إلى التفسير علوماً مختلفة من فلسفة وكلام وطب وفلك وغيرها، وتبين لي كذلك صحة نسبة هذا التفسير إليه من خلال أدلة أخرى تعضد ما قيل في هذه المسألة.

4- وتبين لي أن الرازي استقى مادته النحوية من مصادر متنوعة، وأنها كانت على أربعة أقسام: كتب النحو، وكتب معاني القرآن وغريبه، وكتب التفسير وكتب الإعجاز، وأنه كان ينقل مادته منها بعدة طرائق: فإما أنْ ينقل النصوص باللفظ، أو بتغيير قليل فيها، أو ينقلها بالمعنى من دون الالتزام باللفظ.

obeikandl.com

واتضح لي بعد الموازنة بين المادة المنقولة وبين الأصل الموجود في معظم هذه المصادر: أنّ الرازي كان أميناً في نقله منها، موضوعياً في تعامله معها.

5- تبين لي أن للرازي جهداً حسناً في ميدان أُصول النحو، إذ تناول في تفسيره الأصول الأربعة المعروفة وهي: السماع والقياس والإجماع واستصحاب الأصل. وظهر لي أنه في موضوع السماع كان يدعو النحاة إلى استلهام القرآن الكريم في كل قواعدهم لا في طائفة منها دون أخرى.

6- وتبين لي أن الرازي يدعو إلى اعتماد القراءات القرآنية في التنظير النحوي ولكنه قد يردّ قراءة مشهورة للسبب نفسه. وظهر لي كذلك أنه لا يمانع من الاستشهاد بالحديث الشريف في النحو، وأنه طبق ذلك عملياً في تفسيره.

7- وعرض البحث لجهد الرازي في مجال الحدود النحوية، وبيّن أنه لم يكن مقلداً في ذلك، بل كان مبدعاً فيه، له حدوده الخاصة المبتكرة، وعرض البحث كذلك لموقفه من موضوع العامل والعلل النحوية، وبين أنه قد صبغ هذه المباحث غالباً بالصبغة الفلسفية التي هي اللون الواضح في التفسير كله.

8- وتبين لي أن الرازي كان من النحاة المنتقين لأرائهم النحوية فلم يَشأ أَنْ يرتبط بمدرسة معينة ويلتزم بآرائها في كل حال، بل كانت له أسسه الخاصة في اختيار آرائه النحوية، وكانت آراء المدرسة البصرية هي الغالبة على اختياره.

9- ودلّني البحث إلى أن الرازي كان يُقيّد جواز عطف الجملة الاسمية على الفعلية والعكس بالضرورة والفائدة، خلافاً لما نقل عنه من المنع مطلقاً.

10- وعرض البحث لموقف الرازي من مسألة الزيادة في القرآن الكريم وتبين أنه كان يذهب إلى رفضها، لأن الزيادة اللفظية ارتبطت في ذهنه بالزيادة المعنوية.

11- وبين البحث أن للرازي آراء نحوية تتفق والمنهج الوصفي. فبرغم وضوح الأثر العقلي والفلسفي في أبحاث التفسير بعامة، وبضمنها بحثه النحوي، إلاّ أن له

آراء بعيدة كل البعد عن التقدير والتأويل، كذهابه إلى عدم تعلق الجار والمجرور الواقع خبراً بشيء محذوف، وعدم تقدير فعل في النداء.

12- وبين البحث أن للرازي توجيهات نحوية قائمة على الأساس العقيدي الإسلامي إذ انعكست ثقافته الكلامية على بحثه النحوي، وخاصة في مسألة التوحيد والنبوة وغيرهما. وكان لا يبالي في سبيل ذلك بمخالفة الإجماع النحوي. كما كانت له توجيهات نحوية أخرى قائمة على الأساس المذهبي الخاص من حيث كونه أشعرياً.

13- وعرض البحث للآراء النحوية التي تفرّد بها الرازي في تفسيره، منها قوله إنّ (كان) تامة لا ناقصة، وأن اسم الإشارة (ذلك) يدلّ في الوضع اللغوي على القريب، وأنّ دلالته على البعد هي دلالة عرفية، وهو يذهب كذلك إلى تنوع دلالة فاء العطف، وغير ذلك مما يشعر بحريته في البحث النحوي وشخصيته المستقلة فيه. ومن ثَمَّ لا يسعنا إلاّ أنْ نضع الرازي في صفّ النحاة المجتهدين.

14- وعرض البحث لسبب وضوح الصبغة الفلسفية في بحث الرازي لقضايا النحو إذ بيّن أنّ النحو كان جزءً من التفسير، ومنهج التفسير بعامة كان عقلياً فلسفياً، فلابد أن يتأثر النحو والحال هذه بهذا المنهج.

15- وبين البحث أَنْ الرازي كان دائم البحث في المسائل النحوية التي لم يكن مقتنعاً بحكم النحاة فيها، فكان يقلّب هذه الآراء على وجوهها، ولم يمنعه حكمه السابق في أية مسألة من التراجع عن جديد يراه، أو رأي صائب ينتهي إليه، وذلك إذا ترجّح لديه أن ما ذهب إليه أولاً لم يكن هو الصواب ومن هنا تباين عدد من آرائه النحوية في التفسير ابتداءً وانتهاءً.